

الدلالة السياقية وأبعادها التداولية في مجالس التذكير من كلام البشير النذير

Contextual significance and the deliberative dimensions thereof in the councils of remembrance of the Bearer of Glad Tidings, the Forewarner

د. سارة بوفامة

أستاذ محاضراً

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البريد الإلكتروني boufamasara@gmail.com

الملخص:

يعد الحديث النبوي الشريف حدثاً تواصلياً تنكشف فيه تفاصيل الزمان والمكان وأطراف الخطاب والمعارف القبلية المشتركة والمعارف الآنية المصاحبة للحدث التواصلية، فتتضح فيه المقاصد التي أسست الخطاب، فتبنى الأحكام في ضوء كل هذه المعطيات باعتبار الحديث مصدراً للتشريع بعد القرآن الكريم مباشرة. فلم يغفل الدارسون له هذه المعطيات ووثقوها مفصلة بالأسانيد، وألوهها عناية خاصة بالشرح والتحليل. بما في ذلك رجال الإصلاح في العصر الحديث، فقد أدركوا هذه الخصوصية ذات البعد التداولي.

ومن هؤلاء المصلحين الذين كان لكلمتهم النجاح والفاعلية في التأثير والتغيير؛ عبد الحميد ابن باديس الذي أفرد مجلساً للتذكير بكلام البشير النذير في بضع وعشر سنة يتخير من الأحاديث النبوية ما ينشرها في الشهاب في مقدمة كل عدد بعد مقال مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير مباشرة.

لقد وظف ابن باديس الحديث النبوي مصدراً من مصادر الإصلاح، يستحضر فيها الحدث التواصلية كاملاً وينزله على الواقع الجزائري. فتتعلق السياقات بين سياق الحدث وسياق التذكير. وتنسحب الدلالة من سياقها الزماني والمكاني لتعمم على وقائع جديدة، فيكون لها الأثر النفسي والإدراك العقلي ويوافقهما التغيير السلوكي.

إن مانرومه في هذا البحث هو الوقوف على هذا التعالق السياقي بين تلقى الحديث أول مرة وبين التذكير به اليوم، وكيف وظف ابن باديس الحديث النبوي باستثمار البعد التداولي فيما يخدم الواقع الجزائري والهدف الإصلاحي؟ وهي إشكالية تفرعت عنها تساؤلات أهمها:

- ماهي الاستراتيجيات التي بنى في ضوءها ابن باديس مجالس التذكير من كلام البشير النذير؟

- كيف وظف ابن باديس الحديث النبوي الشريف مصدرا لتأسيس سلطة الخطاب؟

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، استراتيجيات الخطاب، عناصر لسياق، سلطة الخطاب.

In actual fact, the Prophetic Hadith stands for a communicative event in which the details of time, place, the parties to the discourse, common tribal knowledge and the real-time knowledge accompanying the communicative event are revealed, whereat the purposes that founded the discourse become clear, and the judgments are made in the light of all such data as the Hadith stands for a source of legislation immediately after the Holy Quran. Moreover, the students of Hadith did not overlook these data and then ensured documentation thereof in full details with the evidences, together with paying special attention thereto through explanation and analysis, including the reformers of modern times, as they in actual fact recognized this peculiarity with a deliberative dimension.

More to the point, one of these reformers, who indeed have had success and effectiveness through their word in influencing and changing, we shed light on Abdelhamid Ben Badis, who dedicated a council to ensure remembrance of the Bearer of Glad Tidings, the Forewarner in a couple of ten years, choosing from the prophetic Hadiths to be published in Al-Shihab in the preamble of each issue immediately after the article of the councils of remembrance of the Ever-wiser, the All-aware.

Likewise, Ben Badis employed the prophetic Hadith as a source of reform, in which he evokes the whole communicative event and compare it with to the Algerian reality. In virtue of which, there is a relationship between the context of the event and the context of the reminder, whilst semantics is withdrawn from its temporal and spatial context to be generalized to new facts; thus, it has a psychological effect and mental perception, which are accompanied by behavioural change.

Definitely, we aim through this research to identify this contextual relationship between receiving the Hadith for the first time and remembering it at present, and how Ben Badis employed the prophetic Hadith through investing the deliberative dimension in such a manner to serve the Algerian reality and the goal of reform? The problem of which provided several sub-question, as follows:

- What are the strategies in light of which Ben Badis built the councils of remembrance of the Bearer of Glad Tidings, the Forewarner?
- How Ben Badis employed the prophetic Hadith as a source to establish the authority of discourse?

مقدمة: عبد الحميد بن باديس رجل علم وعمل، تشهد له سيرته بحرصه على التطبيق العملي، وعدم اكتفائه بالتنظير بل وتجاوز التنظير الواسع والمتشعب حتى في التعليم والاكتفاء بالفكرة السليمة وتطبيقها في الواقع اليومي. تظهر هذه السمة في كتابات ابن باديس بالأخص في المجالس، التي تشكل واقعا تواصليا تفاعليا بين ابن باديس والمتلقين الجزائريين على تنوع مشاربهم وغاياتهم.

قيمة الحديث النبوي في الحركة الإصلاحية:

تمثل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدر الثاني للتشريع الاسلامي، وسنته صلى الله عليه وسلم حجة في الدين، شارحة مفصلة لما جاء في كتاب الله عز وجل. وهذا مما لاخلاف فيه. لقوله تعالى: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" النساء 80 ولقوله تعالى: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " النجم 4،3.

تعد السنة النبوية إلى جانب القرآن الكريم الأساسين الذين تقوم عليهما الدعوة الإصلاحية يقول في ذلك ابن باديس " فلا جرم كان رجالها الدعوة الإصلاحية – من المعتنين بالسنة، القائمين عليها رواية ودراية، الناشرين لها بين الناس، ومن عنايتهم تحرّيمهم فيما يستندون إليه منها...¹ وقد ألف في هذا الفن من رجال الإصلاح في العصر الحديث وأولوه عناية منهم محمد عبده ورشيد محمد رضا. ومع ذلك توجد دواع أخرى أسهمت في هذا المشروع فكرة ومنهجها وإنجازا، يمكن جمعها في :

1. قيمة الرسول صلى الله عليه وسلم في أنفس المسلمين اليوم.
2. حب الناس للقصة وللمشاهد التعليمية أكثر من التعاليم المباشرة، ولذا كان عرض الحديث مقترنا بتفاصيل الخطاب.
3. مقارنة التطبيق العملي والفعلية للأوامر الربانية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. ومعاينتها باستنطاق الحديث وملابساته والمعطيات المصاحبة له، واسقاطها على الواقع الجزائري اليومي. لربط السياقات الأولى بالسياقات الحالية لتعميم الأحكام.

¹ مجالس التذكير من حديث البشير النذير: عبد الحميد بن باديس. اعتنى بها وخرج أحاديثها: أبو عبد الرحمن محمود. دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2014، م1، ص19.

4. تمثل الأحاديث النبوية النموذج القرآني التداولي التواصلي التفاعلي الموجه للمسلمين في لغة ب شرية. كما وصفته صلى الله عليه وسلم عائشة رضي عنها: "قرآن يمشي على الأرض"

عبد الحميد بن باديس محدثاً:

لم يكتف عبد الحميد بن باديس بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير وأردفها بمجالس التذكير من كلام البشير النذير، فلم يكن ابن باديس مفسراً فقط كما هو معروف وشائع بين العامة وإنما كان محدثاً كذلك كما وصفه أبو عبد الرحمن محمود الذي اعتنى بالمجالس وأعاد نشرها في مقدمة مجالس التذكير من كلام البشير النذير: "فالذي يخفى على كثير من القراء أن ابن باديس كان أيضاً محدثاً جهيداً، وناقداً ألمعياً ومحققاً بارعاً وصيرفياً بصيراً، يفلي الأسانيد، وينقد المتون، ويتبع أقوال أهل الصنعة وأساطين الفن في الرواة جرحاً وتعديلاً، ويحكم على الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً، قبولاً ورداً، ويستنبط — مما ثبت منها — الأحكام ويستخرج الفوائد، ويستجلي المعاني والعبر، ويلتقط من نصوصها الدرر."²

والشاهد على ذلك:

1. تلقيه دروساً في الحديث وحصوله على إجازات من شيوخه الأجلء في جامع الزيتونة أمثال الشيخ محمد النخلي والشيخ محمد بن يوسف والشيخ الطاهر بن عاشور³
2. حصوله على إجازات في الموطأ والكتب الستة وغيرها من مصادر السنة من علماء المدينة المنورة والقاهرة والاسكندرية وتونس في مقدمتهم شيخه حمدان لونيدي دفين البقيع .
3. شرحه موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى، درساً في بضع عشرة سنة .
4. نشره مقالات تدرج في مجموعة تحت عنوان : مجالس التذكير من حديث البشير النذير.
5. إملاؤه رحمه الله على طلبته بالجامع الأخضر بقسنطينة مختصراً في علم مصطلح الحديث، تصمن مالا يستغني عنه المبتدؤون في هذا العلم.
6. تحريه الدقيق في ثبوت ما ينقل من الأحاديث المرفوعة عند الاستدلال بها.

² مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص10.

³ ينظر: وثائق جديدة عن جوانب خفية من حياة ابن باديس الدراسية: عبد العزيز فيلاي. مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، دط، 2012، ص107.71.

7. إنكاره على العلماء والخطباء والكتاب إيرادهم الأحاديث النبوية دون تثبت ولا تمحيص.

8. تحذيره رحمه الله من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والروايات المكذوبة الباطلة والمعارضة لما صح في غيرها.

أولاً: الإطار المفاهيمي للعنوان:

1. الدلالة السياقية وأبعادها التداولية

يتحقق بلوغ الدلالة باستنطاق السياقيات المحيطة بالحديث لتفعيلها في السياقات التداولية الآنية، فهي الدلالة المتوصل إليها من النظر في معطيات السياق اللغوي والسياق الحالي أو المقامي أو سياق الموقف، وهي بذلك دلالة ذات بعد تداولي يتفاعل فيها ماهو لغوي وغير لغوي، لبلوغ الهدف، وعليه يمكننا أن نصطلح عليها بالمقصد، لالتسامها بخصوصية الموقف وعنايتها بتفاصيله وحرصها على الإجابة عن مجموعة من الأسئلة السياقية التي تنحصر في: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟ فيحدد في ضوءها المرسل استراتيجية خطابه. فعناصر السياق والمقصد قبل أن يكون غاية المرسل إليه فهو وسيلة المرسل في تحديد استراتيجيته التخاطبية، ولذا فهو يبني خطابه انطلاقاً من إجابته على مجموع الأسئلة السابقة الذكر والتي تحدد كفاءته التداولية إلى جانب كفاءته اللغوية.

2. عناصر السياق واستراتيجية الخطاب:

المقصود باستراتيجية الخطاب تلك الطرائق التي يعتمد عليها المرسل لبلوغ هدفه مع مراعاة معطيات السياق، أو هي "خطة للوصول إلى الغرض المنشود وبما أنها خطة فهي ذات بعدين: أولهما البعد التخطيطي وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني. وثانها: البعد المادي الذي يجسد الاستراتيجية لتبلور فيه فعلاً".⁴ ولا يمكن أن ينتج خطاب دون مراعاة للسياق، فالمخاطب الناجح يستحضر في ذهنه مجموعة من الأسئلة - عناصر السياق - يبادر بسؤال نفسه إياها وينطلق من الأجوبة لتمثل استراتيجية بعينها لبلوغ هدفه.

⁴ استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار كنوز المعرفة، عمان،

ط2015، م 1، ج1، ص92.

فالسؤال من؟ هو سؤال عن من هو؟ ومن أنا؟ ليحدد منزلته بالنسبة إلى المرسل إليه.

والسؤال ماذا؟ من الأسئلة التي تؤثر إيجابتها تأثيرا مباشرا على استراتيجية الخطاب المنتقاة فهو سؤال عن الهدف من الخطاب كأن يسأل المرسل نفسه: "ماذا أريد من هذا الخطاب؟"

والسؤال متى؟ هو سؤال عن الزمن والزمن يتسم بخصوصية الحركة والتطور، ويترتب عليه تغيير في الاستراتيجية وإن لم يتغير المرسل والمرسل إليه.

والسؤال أين؟ سؤال عن المكان الذي يعد عنصرا سياقيا يوجه المرسل نحو تحديد استراتيجية خطابه.

والسؤال كيف؟ تنطلق الإجابة عن الكيفية باستثمار إجابات الأسئلة السابقة، فالإجابة عن السؤال كي ف؟ تتبلور في انتقاء علامة الخطاب المستعملة أولا، ثم في الاستراتيجية التي تتمثل بها هذه العلامة.

فالمرسل إذن، يتصور في ذهنه أولا إجابات هذه الأسئلة ليصل إلى مرحلة انتقاء الكيفية التي تحقق الهدف من الخطاب فيتخير لها الأدوات اللغوية وغير اللغوية الملائمة للسياق. وبالتالي "استراتيجية الخطاب نتاج مرحلتين متكاملتين، هما:

. المرحلة الذهنية، وفيه يجري تفعيل القوالب المذكورة.

. الخطاب ذاته، بلغته مستوياتها المستعملة.⁵

وفي ضوء ما سبق نستنتج أنه إلى جانب القصد. الذي يعد معيارا أساسا في انتقاء استراتيجية الخطاب —، تشكل السلطة المعيار الآخر المتحكم في نوعية الاستراتيجية، فللسلطة تأثير في إنتاج الخطاب وتأويله فالسلطة علاقة قوى⁶. و السلطة مفهوم مجازي يُظهر وجود علاقة ثنائية بين مرسل ومرسل إليه تتفاوت بينهما درجة السلطة كالعلاقة بين الابن والأب والمعلم والمتعلم والحاكم والمحكوم و....

⁵ استراتيجيات الخطاب ج1، ص109.

⁶ المعرفة والسلطة. مدخل لقراءة فوكو. :جيل دلوز.تر:سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987م، ص77.

وانطلاقاً من هذين المعيارين تتفرع الاستراتيجيات التخاطبية إلى: الاستراتيجية التضامنية، والاستراتيجية التوجيهية، والاستراتيجية التلميحية واستراتيجية الافناع.

وستقوم الدراسة بتطبيق هذه الأنواع على الخطاب الباديسي المرتبط بالحديث النبوي الشريف من خلال كتابه مجالس التذكير من كلام البشير النذير.

3. كتاب مجالس التذكير من كلام البشير النذير: هي مجالس أوجدتها ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية خاصة ضمن حقبة تاريخية ميزها الوجود الاستعماري وما يحمله هذا الوجود من تبعات كالجهل والأمية وطمس الهوية ومحاولات الإدماج... إذ انطلق عبد الحميد بن باديس في فهمه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من حيث هو أعظم ما يحتاج إليه العباد للوصول إلى السعادة الحقيقية ويتم ذلك بإنارة العقول وزكاة النفوس واستقامة السلوك، فتوجه بهذا الفهم الحديث توجهها شفويا مباشرا ضمن مجالسه التي كانت تجمعهم وأنماط مختلفة من المتلقين منهم المثقف الذي يتفق معه في توجهه الفكري ومنهم العامي والجاهل ومنهم المعارض متمثلا في المستعمر والطرقى. ففرض هذا التنوع في الخلفيات الفكرية وفي المنطلقات السياسية على المخاطب انتقاء استراتيجيات بعينها ليتحقق من فحوى خطابه المقصد الذي يصبو إليه. فيقرب فهمه للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى الفلاح الجزائري البسيط، ويوجه المثقفين أمثاله بمقاصد القرآن الكريم، ويقنع معارضيه على اختلاف توجهاتهم بنجاعة القرآن والسنة النبوية ليكونا حلاً لكل الأزمات المحيطة بالإنسان، وسبيلا لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية.

ولا ينكر أحد الأثر الإيجابي الذي حققه ابن باديس بحركته الإصلاحية التجديدية في الجزائر التي تنوعت بين التعليم والتربية وإلقاء الخطب وإنشاء المجلات والنوادي وكذا تفسير كتاب الله وتفسير سنة نبيه، في إحياء الأمة وإنقاذها من متاهات الجهل والأمية والخرافة التي أغرقت فيها ومن حالة الخمول والسلبية الناجمتين عن الفهم الخاطئ للدين وتلبس معانيه السامية ومنهجه السليم بالبدع والخرافات، فشككت الأمة في وجودها وفقدت ثقتها بنفسها وكأنها وصلت إلى مرحلة أيقنت فيها أنها غير قادرة على تسيير شؤونها بنفسها.⁷

⁷ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس. اعتنى به وخرج أحاديثه وأثاره أبو عبد الرحمن محمود.

ثانيا: استراتيجيات الخطاب في مجالس التذكير من كلام البشير النذير:

1. عناوين المجالس المفسرة للأحاديث النبوية:

الرقم	عنوان المقال	الحديث	مجاله	تاريخ النشر
1	أثر النيات في الأعمال	إنما الأعمال بالنيات ...	عبادة	غرة رمضان 1349هـ/ فيفري 1931 م
2	الصحة والفرغ استغلالهما دعة منهما	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفرغ	عبادة+مجتمع	غرة شوال 1349هـ مارس 1931 م
3	إتباع رمضان بستة من شوال	من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كمن صام الدهر	عبادة	غرة ذي القعدة 1349هـ/مارس 1931 م
4	تفاوت الصدقات بنسبتها لأموال المتصدقين	سبق درهم مائة ألف درهم	مجتمع	غرة ذي الحجة 1349هـ/أفريل 1931 م
5	بناء المساجد على القبور شرار الخلق عند الله يوم القيامة	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا.....	عقيدة	غرة المحرم 1350هـ ماي 1931 م
6	اتحاد المؤمنين وتعاونهم	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا....	مجتمع	غرة ربيع الأول 1350هـ/جويلية 1931 م
7	الفن الأدبي في الحديث النبوي	ويحك يا أنجشة رويدك سوقك بالقواريق.	مجتمع	غرة شوال 1350هـ/فيفري 1932 م
8	التوجه إلى الله برسول الله	رجل ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني.....	عقيدة	غرة ذي القعدة 1350هـ/مارس 1932 م
9	فضل السجود والحث	فأعني على نفسك بكثرة	عبادة	غرة ذي الحجة 1350هـ/أفريل 1932 م

دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، 1432هـ-2011م، ط2، مج1، ص12.

	العليه	السجود	
10	خروج النساء إلى المساجد	لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها	غرة محرم 1351هـ/ماي 1932م
11	كلمات الشرك "النهى أن يقال ما شاء الله وشئت"	...قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد.	غرة صفر 1351هـ/جوان 1932م
12	تحريم الخلوة بالاجنبية خصوصا على الأقارب	إياكم والدخول على النساء	غرة جمادى الأولى 1351م/سبتمبر 1932م لمحرم 1350هـ
13	الصدق والكذب أين يهدي كل واحد منهما	عليكم بالصدق... إياكم والكذب	غرة جمادى الثانية 1351هـ/أكتوبر 1932م
14	إنما يؤخذ العلم من العلماء	كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا....	غرة شعبان 1351هـ/ديسمبر 1932م
15	النهى عن البناء على القبور	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر أو أن يقعد عليه وأن يبني عليه	غرة شوال 1351هـ/فيفري 1933م
16	لعن من اتخذ المساجد على القبور	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	غرة ذي القعدة 1351هـ/مارس 1933م
17	بناء المساجد على القبور من شرار الخلق عند الله يوم القيامة	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل فمات بنوا على قبره مسجدا	غرة محرم 1352هـ/ماي 1933م
18	تأكيد النهى عن اتخاذ القبور مساجد	...ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، زاني أنهاكم عن ذلك.	غرة صفر 1352هـ/جوان 1933م
19	من اتخذ القبور مساجد الصلاة إليها	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	غرة ربيع الأول 1352هـ/جويلية 1933م
20	السيادة في البرلمان ساد في البحر	...ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله	غرة رمضان 1352هـ/جانفي 1934م

		يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة		
21	حماية الأعراض من التهم "إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا"	مجتمع	غرة شوال 1352هـ/جانفي 1934م
22	من رغب عن سنتي فليس مني	"إذا سمعت الرجل يقول : هلك الناس فهو أهلكهم"	مجتمع	غرة ذي القعدة 1352هـ/فيفري 1934م
23	الشرك والوثنية ودعوى النبوة	"لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمي أمي بالمشركين"	عقيدة	غرة محرم 1345هـ/أفريل 1935م
24	تعلم اللغات المحتاج إليها	إني والله لا آمن يهود على كتاب	مجتمع	غرة صفر 1354هـ/ماي 1935م
25	الآية الخالدة لنبوة خاتم الأنبياء والمرسلي	مامن الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات...	عقيدة	غرة ربيع الأول 1354هـ/جوان 1935م
26	الراعي الغاش لرعيته	مامن عبد يسترعيه الله رعية وم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة	مجتمع+سياسة	غرة ربيع الثاني 1354هـ/جويلية 1935م
27	نظافة الطرق والمجالس أو مصلحة مصالح البلدية	اتقوا اللعائين....	مجتمع	جمادى الأولى 1354هـ/أوت 1935م
28	النساء والكمال	كامل من الرجال كثير وكامل من النساء.....	مجتمع	جمادى الثانية 1354هـ/سبتمبر 1935م
29	خير النساء	خير نساء ركن الإبل نساء قريش....	مجتمع	غرة رمضان 1354هـ/ديسمبر 1935م
30	التستر بالنقائص	كل أمي معافي إلا المجاهرين	مجتمع	غرة ذي القعدة 1354هـ/فيفري 1936م
31	ستروجه المرأة من الدين	..كنا نخمّر وجوهنا ونحن	مجتمع	غرة محرم 1356هـ/مارس 1937م

		محرمات....	على ما فيه من التفصيل	
32	دعوى الجاهلية أو الكلمة المنتنة	دعوها فإنها منتنة	مجتمع	غرة صفر 1356 هـ / أبريل 1937 م
33	مجالس العلم: الإقبال عليها والإعراض عنها	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة....	مجتمع	ربيع الأول 1356 هـ / ماي 1937 م
34	حق النساء في التعلم	ما منكم امرأة تقدم ثلاثا من لا كان لها حجابا من نار	مجتمع	صفر 1358 هـ / مارس 1939 م
35	تعليم النساء الكتابة	ألا تعلمين هذه رقية النملة تها الكتابة	مجتمع	ربيع الأول 1358 هـ / أبريل 1939 م
36	تكثير السواد" من كثر سواد منهم"	سياسة	ربيع الثاني 1358 هـ / ماي 1939 م	
37	لا لوم على من صدق المتاب . محاجة آدم وموسى عليهما السلام .	محاجة آدم وموسى عليهما السلام .	مجتمع	جمادى الأولى 1358 هـ / جوان 1939 م
38	درس ختم " الموطأ "	لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدي ، وأنا العاقب.	حب النبي صلى وسلم	رجب 1358 هـ / أوت 1939 م

تنوعت موضوعات المقالات الشارحة للأحاديث النبوية بين القضايا العقيدية والاجتماعية والعبادات والسياسة إلا أن الأكثر حضورا كانت مناصفة بين قضايا العقيدة والقضايا الاجتماعية التي تمس الأسرة والمرأة والتعليم.

هذه الاختيارات مؤسسة على وعي ابن باديس وإدراكه العميق لمتطلبات المجتمع الجزائري، ونقائمه ومشاكله، وأهداف ابن باديس التي يرومها انطلاقا من مجالسه.

فابن باديس من اتصاله المستمر بالمجتمع الجزائري وحرصه على مصاحبة الناس في يومياته جعل منه العالم العامل الذي يمتلك دراية بتفاصيل المجتمع وحيثياته واحتياجاته. ولعل أكثر الظواهر التي كانت تغل بالمجتمع الجزائري الإسلامي لم تكن التزامه بالعبادات من صلاة وصيام ولكن الخلل كله كان مرتكزا في العقيدة نفسها والتي أصابها شرخ واسع زاد في اتساعه المستدمر الفرنسي دعما وحماية، تمثل في استغلال عقول الناس بالوساطة بينهم وبين خالقهم.

وبالنظر في المقالات المنشورة في مجالس التذكير من كلام البشير النذير، نجد المقالات التي تعالج خلافا عقديا تشكل نسبة 25,64% وهي النسبة واسعة جدا ضمن مجموع المقالات المنشورة في هذه السلسلة. وقد خص كل المقالات المنشورة في سنة 1933م لموضوع البناء على القبور واتخاذها مساجد.

حيث عرض خمس مقالات متتالية تعالج الموضوع نفسه ولكن بمنهجية مختلفة ونموذج مغاير للنموذج المعتمد في المقالات الأخرى. كما أن الاستراتيجية المختارة كانت تتغير بتغير المعايير التي تم بيانها في الجزء التنظيري من البحث، القصد والسلطة.

وشكلت المقالات المتعلقة بالقضايا الاجتماعية كالتهليم والمرأة والأسرة نسبة 53,84% وهي النسبة الأكبر.

وشكلت قضايا متنوعة بين العبادة والسياسة نسبة 15,37% وهي نسبة ضئيلة جدا وتغلغلها فوائد وقيم تصب في القضايا الاجتماعية والعقدية.

وتستنتج من هذه النسب أنّ التصورات الذهنية التي سبقت الخطاب كانت مؤسسة على السياق الجزائري والوقائع اليومية التي يعيشها الفرد الجزائري، والأحداث الكبرى التي تمس الوطن والأمة العربية والإسلامية، كل هذه السياقات اليومية هي مداخلات تحفز ذهن ابن باديس للبحث في سياقات مشابهة، حدثت في زمن النبوة وقدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم والحل والتوجيه الأمثل.

فربط الجزائري المسلم اليوم بسياقاته المتعددة، مستحضرا في ذهنه أحداثا مشابهة وقعت في عهد النبوة هو ربط ما هو كائن بما يجب أن يكون أو بأكمل ما يكون. واختيار ابن باديس الحديث النبوي برصده للمعطيات المصاحبة له في عرضه قصة الحديث، واختياره أحاديث بعينها ذات علاقة بالواقع الجزائري، لهو وعي بالواقعين، وتمثلهما في ذهنه فيستحضر الأكل من زمان النبوة لتوجيه الراهن الشائك.

2. تنوع استراتيجيات الخطاب بتنوع القصد والسلطة في مجالس التذكير من كلام البشير

النذير:

أ. نموذج شرح الحديث:

فالنموذج المعتمد في جل المقالات كان على النحو الآتي:

يستهل ابن باديس مقاله في مجالس التذكير من كلام البشير النذير بعنوان يدل على محتوى المقال، ثم يعرض الحديث المراد تفسيره، ثم يقف عند الألفاظ أو الكلمات بالشرح والتحليل، ثم يعرض التراكيب والأساليب من تقديم وتأخير وحذف وذكر وفصل ووصل و.الأوجه الإعرابية، بما يخدم غايته من شرح هذا الحديث النبوي.

يعرض بعد ذلك ابن باديس في عنصر مستقل يعنونه سبب الورود، فيستحضر المشهد الذي ورد فيه هذا الحديث،

ثم يعنون – غالباً – ب: المعنى أو الشرح أو البيان، يشرح في هذا العنصر الحديث ويقرب معانيه للمتلقين ويبين دلالاته .

ثم ينتقل إلى عنصر الأحكام ويعرض الأحكام المستقاة من هذا الحديث ويبين أوجه تطبيقها في واقع المسلم اليوم. ويستعمل لذلك عناوين متكررة من قبيل استدلال أو استنباط واستنتاج تأتي مرافقة وموافقة لعنصر الأحكام.

ثم يختتم المقال بالتطبيق العملي للحديث النبوي فيعنونه إما تطبيق أو إرشاد أو سلوك، أو تربية، أو توصية، أو تحذير وإرشاد أو العلاج ...

فيعرض السياق الثقافي والاجتماعي في عهد النبي ومقارنته بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه الجزائري ومحاولة استنطاق تلك النصوص في إطار سياقها وتعميمها بما يخدم ويوجه ويرتقي بالسياق الاجتماعي اليوم. ولذلك كان حريصاً كل الحرص على ذكر كل التفاصيل المصاحبة للحديث النبوي لتحقيق الترابط بين الماضي والحاضر، وزيادة في البيان والإقناع،

ب. النموذج الخاص بالقضايا العقدية:

خصّ ابن باديس موضوع البناء على القبور بسلسلة من المقالات منطلقها الحديث النبوي الشريف ، ووضعها في قالب شكلي مغاير لذلك النموذج المعتمد في المقالات الأخرى. وتميزت بكونها مقالات ذات حجم صغير جدا لا يتجاوز الصفحة، اعتمد فيها الخطاب المباشر والصريح وابتعد فيها عن أسلوبه التعليمي الذي يمتاز بالشرح والتبسيط والتكرار .

وسبق هذه المقالات الخمس بمقالة عنونها: "إنما يؤخذ العلم من العلماء" انطلق في المقالة من قصة نبوية "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا....." أكد في هذه المقالة على الفرق بين العالم والعابد وأسبقيه العلم على العمل " فمن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ، ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال، وربما اغترّبه الجهال، فسألوه، فاغترّ هو بنفسه فتكلّم بما لا يعلم فضلّ وأضلّ." ⁸ فكان هذا المقال بيانا لعلة الفساد العقدي الذي مسّ المجتمع الجزائري المسلم، وتحذيرا من استمرار هذا الفساد ببقاء هذه العلة وعدم محاربتها. وبنى خطابه هذا على استراتيجية توجيهية انطلاقا من تساؤلاته الضمنية المشكلة لعناصر السياق التي يمكن توضيحها على النحو الآتي:

من؟	ماذا؟	متى؟	أين؟	كيف؟
المرسل: ابن باديس شارحا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. المرسل إليه: إلى الجزائريين عامة	تغيير أفكار العامة في الفرق بين العالم والعابد	زمن الخطاب	الجزائر	الاستراتيجية التوجيهية
المرسل إليه: طلبه العلم	توجيه طلبه العلم إلى الاستزادة من طلب وتوجيه الناس نحو من عنهم العلم.			

⁸ مجالس التذكير من حديث البشير والنذير، ص 187.

الاستراتيجية التوجيهية هي الاستراتيجية التي اختارها ابن باديس في هذا الخطاب ، فقد مارس ابن باديس سلطته على المتلقين لأنه يمثل دور العالم المعلم ، واستمد سلطة الخطاب هذه من النبي صلى الله عليه وسلم لأن منطلقه من حديث خير الأنام ، وكلامه صلى الله عليه وسلم حجة وملزم للمتلقين.

من؟	ماذا؟	متى؟	أين؟	كيف؟
المرسل:ابن باديس شارحا لحديث رسول الله عليه وسلم. المرسل إليه: القائمون على الطريقة والمتعنتون في قبول الحق	إقناعهم بوقوعهم في البدع ومخالفتهم هدي النبي	زمن الخطاب	الجزائر	استراتيجية الإقناع
السائرون على نهج النبوة	توجيههم للعمل بما جاء في حديث النبي، ونشره بين الناس.			الاستراتيجية التوجيهية
عامّة الناس من أتباع الطريقين جهلا بالعقيدة الصحيحة	الدعاء لهم بالهداية واستعطاف قلوبهم			الاستراتيجية التضامنية

1. استراتيجية الإقناع

استغنى ابن باديس عن كل الخطوات التي اعتمدها في مجالس التذكير بالحديث وحتى مجالس التذكير بالقرآن في هذه المقالات بالذات. خاصة وأنه سبق هذه السلسلة بمقالات توضيحية وشارحة ومبينا فيها الصواب من الخطأ بالحجة والدليل من كتاب الله وسنة رسوله. أما في هذه المقالات بتحديد — المنشورة سنة 1933م — فقد اكتفى بعرض الحديث وأردفه قائلا: "هذا حديث صحيح صريح في النهي عن البناء على القبر.... بحيث لا يحتاج إلى تفسير."⁹

⁹ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص190.

ثم عرض ابن باديس ثلاث آيات قرآنية تقرّر حجية كلام النبي وإلزامية اتباع أوامره والانتهاز عند نواهيه

فربط الإيمان بهذه الآيات القرآنية بالامتثال بمحتوى هذا الحديث. قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} الحشر 7

واستدل بقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ} آل عمران 31

وبقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} الأحزاب 36

فكانت استراتيجية في التواصل مع هؤلاء مغايرة لكل استراتيجياته الأخرى، لأنه وضعهم في صنف المنكر لسنة رسول الله والمتعنت في قبول ماجاء في الأحاديث الشريفة مع علمهم بما جاء فيها، وبالتالي لا يتساوى هذا المتلقي مع من يمارس الفعل نفسه عن جهل، ولا يتساوى كذلك مع من لا يمارس هذا الفعل ولكنه لا يستنكره ولا يوجه غيره ويعلمه شناعة الأمر وحرمته.

وتمثلت في العلاقة التلازمية بين المؤمن بكتاب الله وبنبيه والمتمثل لهذا النهي. تمثل هذه الطريقة آلية من آليات الحجاج التي يصطلح عليها الحجاج بالتبادل، حيث يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات.¹⁰

من الأدوات الحجاجية ذات العلاقة المباشرة بالمجتمع الجزائري، استعمال ابن باديس بعض الكلمات والعبارات الرائجة بين الناس للدلالة على حرمتها بمقابلتها بما ورد في الأحاديث النبوية كقوله: "بربي والشيخ: وهم يعنونون أن ما يفعلونه هو بالله وبتصرف الشيخ، بربي والصالحين، بربي والناس لملاح، إذا حب ربي والشيخ، شوف ربي والشيخ، وهي كلها كلمات شرك كما ترى.¹¹

¹⁰ استراتيجيات الخطاب، ج2، ص269.

¹¹ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص158.

وعرضه صوراً من الواقع الجزائري ك: "وكثيراً ما يرتكبون البدع كدعاء المخلوقات، وكالحج إلى الأضرحة وإيقاد الشموع عليها والندور لها، و كالرقص وضرب الدف في بيوت الله، وغير هذا من أنواع البدع..."¹²

2. استراتيجية التوجيه

إذ جاء خطابه في شكل أوامر ونواهي وتوجيهات مباشرة من قبيل:
"نسأل كل مؤمن بهذه الآيات أن يعمل بنهي النبي صلى الله عليه وسلم.."
— "فيا أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، المصدقون لحديثه، إياكم والبناء على القبور...وعليكم بتبليغ هذا الحديث والتذكير به.."
- فحذار أيها المسلم - من فعل أهل الضلال ومشاكله الأشرار ولا تغتربكثرة الهالكين.

3. الاستراتيجية التضامنية:

وقد تبني ابن باديس هذه الاستراتيجية في خطابه الموجه للمتلقى الجاهل بالعقيدة الصحيحة، ومن ذلك قوله: "ونعوذ بالله - لنا ولجميع إخواننا المسلمين - أن نكون من الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا"¹³

وقوله: "نسأل الله تعالى . لنا ولإخواننا المسلمين . أن نكون من الذين يرجون لقاء ربهم..."¹⁴

القضايا الاجتماعية: شكلت القضايا الاجتماعية النسبة الأكبر في كتاب مجالس التذكير من حديث البشير بنسبة 53.84% زهي نسبة تبين عن الغاية الأساسية لهذه المجالس وهي تحقيق فكرة أن الإسلام منهج حياة يرتقي بالفرد والأمة إلى حياة أسعد في الدارين. وقد أسس ابن باديس للمقالات الاجتماعية منهجاً مشتركاً واستراتيجية واحدة نوضحها في الجدول الآتي:

المقال	من؟	ماذا؟	متى؟	أين؟	كيف؟
--------	-----	-------	------	------	------

¹²المصدر نفسه، ص64.

¹³ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص65.

¹⁴ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص65.

الاستراتيجية التضامنية	الجزائر	زمن الخطاب	تعليم الناس حسن تسيير حياتهم اليومية وفق المنهج النبوي. توجيههم نحو حياة اجتماعية أرقى التأكيد على أن الإسلام حياة وليس مجموعة عبادات أوقات وأماكن محددة فقط، وإنما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نعيش يومنا ونجهز لغدنا.	المرسل: ابن باديس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المرسل إليه: الجزائريون عامة	القضايا الاجتماعية
			توجيه العامة للحياة وفق هدي النبي	المرسل إليه: أهل العلم من المعلمين والمثقفين	

1. الاستراتيجية التضامنية

يغلب على القضايا الاجتماعية توظيف ابن باديس الاستراتيجية التضامنية في خطابه الموجه للعامة، فيسقط عن نفسه سلطة المعلم العالم ويتوجه إلى عموم الناس بخطاب يظهر فيه قربه منهم وإزالة الحدود بينه وبينهم، وقد استعمل الباحثون مصطلحات متعددة للدلالة على الاستراتيجية التضامنية فاستعمل براون وجيلمان التضامن، واستعمل براون وليفندسون البعد واستعمل ليتش البعد الاجتماعي، ل أنها الأنسب للمحافظة على العلاقات الاجتماعية.¹⁵

وهذا من عبقرية ابن باديس في تسيير العلاقات الاجتماعية حيث يحافظ عليها بالتخلي عن سلطته تخلقا وتقربا من الناس وتوددا لهم، وإحساسهم بهذا التخلق والتواضع وتضامنه وإياهم في زمرة واحدة باعث لاستمرارية العلاقة بينهم. وهو مطلب يرجوه كل عالم مربي رباني أسوته رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن إسقاط ابن باديس لسلطة العالم والمعلم ليخضع هو وعموم المتلقين تحت سلطة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنها استراتيجية التقرب من المجتمع والأخذ بيده للامتثال والإذعان لحكم الله. والوسائل اللغوية الدالة على تبنيه هذه الاستراتيجية في القضايا الاجتماعية الموجهة لعموم الناس استعمال ضمير جماعة المتكلمين كقوله: "فعلينا. معشر المسلمين. أن نعى ..."

"علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا.."

¹⁵ استراتيجية الخطاب، ج2، ص19.

الدعاء للناس وهو معهم لبلوغ حياة أفضل.

2. الاستراتيجية التوجيهية:

أما الخطاب الاجتماعي الموجه للخاصة من المعلمين والمربين فيوظف فيه ابن باديس الاستراتيجية التوجيهية، فيمارس خطابه متمسما بسلطة العالم الموجه لاستمرار الرسالة، ولبث روح المسؤولية في المتعلمين لمواصلة مسيرة الاقتداء بالسنة النبوية في كل مناحي الحياة بما فيها منهج الحياة اليومية.

القضايا السياسية:

شكلت القضايا السياسية في مجالس التذكير من حديث البشير النذير نسبة 5.12% في صورة مقالين اثنين: مقال السيادة في البر لمن ساد في البحر ومقال تكثير السواد من كثر سواد قوم فهو منهم:

المقال	من	ماذا	متى	أين	كيف
السيادة في البر لمن ساد في البحر	المرسل: ابن باديس	المسلم مطالب باتخاذ أسباب القوة ليحقق السيادة في البر والبحر	زمن الخطاب	الجزائر	الاستراتيجية التلميحية
تكثير السواد من كثر سواد قوم فهو منهم	=	المسلم مطالب بالانتساب للمسلمين وألا ينتسب لغيرهم ولو شكلا ظاهرا	=	=	=

اتسمت هذه المقالات باعتماد ابن باديس الاستراتيجية التلميحية، وهي خطابات تحمل قوة إنجازية في داخلها، بغير إفصاح أو تصريح مباشر عنها ومن ذلك هذا النص: "إذ لا يكون ملك إلا بأسباب الملك، ولا تكون قوة إلا بأسباب القوة، ولا تكون السيادة إلا بأسباب السيادة... والسيادة لا تكون إلا

بالمملك، وأن الملك لا يكون إلا بالقوة: قوة الأبدان وقوة العقول وقوة الأخلاق وقوة المال وبهذه يكون العدل الذي هو أساس الملك وأن لا قوة إلا بالعلم والعمل والتهذب.¹⁶

إن المعنى الحقيقي الذي يحمله هذا الخطاب هو دعوة إلى تجهيز العدة الاقتصادية والسياسية والحربية والأخلاقية لبلوغ الحرية والسيادة في البر والبحر. ثم يعرض صورتين متقابلتين لحال المسلمين بين زمنين وحالين مختلفين: " فقد فهم المسلمون هذا دهرا فسلكوه ،فأنجز الله لهم وعده، وجهلوه أدهارا فتركوه فأذاقهم الله بأسه..."¹⁷

كما لجأ ابن باديس إلى الحديث النبوي الشريف، لحل قضية شائكة أمت بالجزائرين، تمثلت في التجنس بالجنسية الفرنسية أو السير تحت معطفها منهجا وسلوكا وزيا ، فعرض قصة لأبي الأسود نهاه فيها عكرمة عن تكثير سواد الكافر أو الظالم، وأعلمه حديث رسول الله وقصة أناس كانوا مع المشركين يكثر سوادهم فنزل فيهم قول الله تعالى: " إن الذين توفاهم الملائكة ظالعي أنفسهم" (النساء 97) ثم أبان حكمها وأنزله على الواقع الجزائري وعمّم الحكم النبوي بمقابلة السياقين ببعضهما، فقال فيها: " من حضر مع قوم وكثر جمعهم فهو منهم وشريك لهم في عملهم ،سواء أكان خيرا أم شرا كما يفيد الحديث الذي جعلناه ترجمة، وهو في مسند أبي يعلى.¹⁸

ونلاحظ من هذين الخطابين أن ابن باديس لجأ إلى الاستراتيجية التلميحية في الخطابات السياسية، والعلة تفادي الصدام الفرنسي الذي كان في حاجة إلى ذريعة لتوقيف المجلة والنشر فيها، فلجأ ابن باديس إلى التلميح وتجنب التصريح والتوجيه المباشر الذي مارسه في القضايا الاجتماعية.

الخاتمة:

إن قراءة في منهج ابن باديس في اللجوء إلى الحديث النبوي الشريف وتنزيله على الواقع الجزائري، والنظر في استراتيجيات الخطاب التي كان ابن باديس ينوعها بتنوع عناصر السياق يفضي بنا إلى

¹⁶ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص208.

¹⁷ المصدر نفسه، ص208.

¹⁸ المصدر نفسه، ص297.

التأكيد على عبقرية ابن باديس في تأسيس منهجه الإصلاحية في وعي عميق بمعطيات الواقع وإلمام واسع بما ورد في السنة النبوية، ونظرة الثاقب لتخير الآليات الملائمة لتغيير المجتمع انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية. فابن باديس لم يتعامل مع الأحاديث النبوية بطريقة الشارح المفسر وإنما أبدع في تسليط الضوء على ما يشكل ملاءمتها للشروط التاريخية والحاجات الاجتماعية، والظروف الحضارية المستجدة، وهو في جوهره أمر يتوقف تحقيقه على مدى فاعلية القارئ للحديث النبوي ووعيه بطريقة استثماره وتوظيفه، ثم اختيار استراتيجية ملائمة لتحقيق المقصد والغاية .

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. استراتيجيات الخطاب مراقبة لغوية تداولية-: عبد الهادي بن ظافر الشهري. دار كنوز المعرفة، عمان، ط2، 2015م.
2. اللسان والميزان: طه عبد الرحمن. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1998، 1م.
3. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس،
4. مجالس التذكير من حديث البشير النذير: عبد الحميد بن باديس. اعتنى بها وخرج أحاديثها: أبو عبد الرحمن محمود. دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2014، 1م.
5. المعرفة والسلطة . مدخل لقراءة فوكو .:جيل دلوز.تر:سالم يفوت،المركز الثقافي العربي، ط1987، 1م
6. وثائق جديدة عن جوانب خفية من حياة ابن باديس الدراسية: عبد العزيز فيلاي.